

## ولا تهنوا

ولا تهنوا أيها المسلمون ولا تياسوا، فربنا الله يتولانا كما تولّى أجدادنا، أما تذكرون كيف كنا قبل الإسلام وكيف أصبحنا بعده؟ كنا قبله رعاة غنم ثم صرنا قادة أمم، كنا عبدة أصنام وأهل أزلام، وحملة آثام، ومتلبسين بالحرام، ثم صرنا للعالم فاتحين وللأفكار مجددين، ولمشاعل النور حاملين وفي حكم الشعوب عادلين، لا تهنوا فسرّ نهضتنا وانتصاراتنا وكرامتنا وعزتنا القرآن، ما زال غضاً طرياً في صدور أطفالنا وفي أرواح شيوخنا، سوف يبعث فينا الحياة من جديد، إلى مجد تليد ونصر مجيد، كما حصل لعمر وسعد وابن الوليد، ولا تهنوا فالذي بعثنا بالوحي في مجد الرسالة المحمدية قادر على أن يبعثنا من جديد من نومتنا هذه، فقد كنا قبل الإسلام في آثار الضأن نأكل الميتة ونعتقد في الكواكب ونسلب القوافل ونقطع الطريق ونغتال القيم ونذبح الفضيلة، نعيش كأننا في غابة في ضلالة وجهالة، نقسم باللات والعزى، نقطع الرحم، نباغت الآمن، ونقاتل المسالم، ونغدر بالمعاهد، فلما أسلمنا تحول كل شيء في حياتنا، فصارت قلوبنا مصاحف هدى، وأسننتنا منابر معرفة، وأقلامنا رسل علم، وكلامنا ذكراً وتلاوة، نتوضأ فتفتح لنا أبواب الجنة، نصلي فتخشع معنا الجبال، نسجد فتحنى لنا الجبابرة، نحارب فتقاتل معنا الملائكة، ندعو فتهدوي أمامنا قلاع الكفر وتكنات الباطل ومعاقل الزور، نكبر فتتهتز لنا دواوين الظلمة، وتهد صروح الأكاسرة وقصور القياصرة، حملنا لا إله إلا الله فرحبت بنا الأرض، وحيتنا السماء، وهابنا البحر، وشفقت لنا الأنهار، وفتحت لنا الأقطار، وطوي في أيدينا الليل والنهار:

سل الصحراء عن أجدادنا:

كم على الصحراء من أعلامنا

قبلة الحق ومهوى الكوكب

سل ضفاف السند عنا:

وقفتُ تحيينا الجبالُ جلالَةً

وتوقف التاريخُ يكتبُ مجدنا

سل الشام عنا:

هتفتُ دمشق لنا وصفق نهرها

وطيورها بثناء ربي تنشدُ

سل معاهد القاهرة عن مجدنا:

خطبنا على الأعوادِ فاهتزت الرُّبى

وكبر حتى الصخرُ من نصرنا فخرا

سل الأندلس عن عهدنا ووعدنا وجدنا ومجدنا:

صارت مساجدُ من طهرٍ ومن كرمٍ

وأصبحت لجنودِ العزايوانا

أذن بلال في أذن الدنيا فخشع الكون، ورتل أبو موسى القرآن فانقشع الظلام،  
وروى أبو هريرة الحديث فأنصت الدهر، وحكم عمر فاستسلم الطغاة، وجاهد  
خالد فسحق الكفر وزهق الباطل.

أيها المسلمون: لا تهنوا فتحن أكثر الديانات أتباعاً وأكثرها أصقاعاً وبقاعاً،  
في كل زاوية مسلم يسبح، وفي كل مسجد مؤمن يصلي، وعلى كل منبر موحد  
يخطب، وفي كل رابية داعية ينصح، ما من مدينة إلا وفيها مسجد، ولا قرية إلا  
وبها مصلى، ولا دولة إلا وفيها مركز ومعهد، القارات الست تهتز عند الصلاة  
بنداء الحق: الله أكبر الله أكبر، البحار، والقفار والديار تترج بلا إله إلا الله.

أيها المسلمون: إن ضعفنا فما متنا، وإن مرضنا فما انتهينا، وإن غلبنا فما  
استسلمنا، مازال بنا رمق الحياة، وبذرة التحدي، وعنصر الإباء، ووقود الثورة،

وروح النضال، نحن أهل الرسالة الخالدة، والقضية العادلة، والمشروع الرباني الحضاري، لولا أن ملأنا السمع والبصر ما اشتغل بنا العالم، ولولا أننا قادمون ما خاف منا الآخر، نحن لسنا جنساً قومياً، ولا حزباً وطنياً، ولا فكراً أرضياً، ولا فريقاً سياسياً، نحن أمة عظيمة، ذات رسالة كريمة، ومبادئ قيومية، نحن عرب وعجم، بيض وسود، علماء وعامة، أغنياء وفقراء، نحن ضمير العالم الحي، وبهجة الحياة الدنيا، وأمل الشعوب المستضعفة، نحن جمعية خيرية كبرى، مؤسسة عالمية عظمى، نحن صيحة إنقاذ في ضمير الغيب، وبسمة أمل في فم الدهر، وقبس من نور الله في عالم التيه.

لأننا وحدنا يوم ألدنا غيرنا، وآمنا يوم كفر سوانا، نذنب لكن نتوب، ونخطئ لكن نستغفر، إن عثرنا أقامنا الله، وإن هُزمتنا نصرنا الله، وإن ضاقت بنا السُّبل فرَّج الله عنا، فتحن إلى الله ومع الله وبالله وعلى الله وفي الله، إلى الله نسير، ومع الله نأنس، وبالله نثق، وعلى الله نتوكل، وفي الله نجاهد، نحن الأمة الخاتمة، خُتمت بنا الرسالات، والأمة الوسط صلحت بنا المناهج، والأمة الشاهدة، نقول كلمة الفصل، والأمة المجاهدة، ندوس الباطل، نحن أمة ابتلانا الله وابتلى بنا، نحن أمة الفطرة والقبلة والملة والسنة، فالفطرة توحيد، والقبلة مكة، والملة إسلام، والسنة اتباع المعصوم، نحن أهل القبلتين والبيعتين والحسنيين والهجرتين والملحمتين، فالقبلتان الكعبة والأقصى، والبيعتان العقبة والرضوان، والحسنيان النصر أو الشهادة، والهجرتان الحبشة والمدينة، والملحمتان معركة البعثة ومعركة التصفية ضد المسيح الدجال.

نموت، ولكن ربنا حي، نذهب ولكن القرآن موجود، نرحل لكن السنة باقية:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾



## المسلمون على درجات في التدين

ينبغي على المسلم أن يكون عادلاً رحيماً؛ فلا يظلم في أحكامه ولا يقسو في أفعاله، وليقبل سائر المسلمين على مستوياتهم بالتدين؛ فتحن المسلمين في التدين كطلاب الجامعة منهم المقبول والجيد والممتاز، وقد قسم القرآن أهل الإيمان إلى ثلاثة مستويات ووعدهم بالرحمة والمغفرة جميعاً، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾، فالمسلمون منهم العالم الرباني والعاقد القانت الخاشع والملتزم بالواجبات التارك للكبائر، ومنهم الظالم لنفسه بارتكاب بعض المنهيات وترك بعض الواجبات، فهم على درجات متفاوتة بالالتزام بالتدين، وهم في حاجة إلى من يدعوهم برحمة ويعاملهم برفق لاختلاف عقولهم ومداركهم وتباين أفكارهم وكثرة الشبهات والشهوات وضعف اليقين والصبر عند الكثير منهم.

وليس بصحيح أن يُقال في المجتمع المسلم: فئة المتدينين أو رجال الدين؛ لأننا كلنا رجال دين من العلماء والمسؤولين والأطباء والمهندسين والكتّاب والجنود والتجار وغيرهم، فعلى المسلم أن يتعامل مع إخوانه المسلمين ويقبلهم على اختلاف مستوياتهم في التدين، وقد كان رسول الهدى ﷺ يعامل المسلمين جميعاً بل عموم الناس بالعدل والحكمة والرفق، وكان يحضر مجلسه كبار الصحابة والأعراب والشعراء والأغنياء والفقراء، بل حضر اليهود والنصارى مجلسه، وأطعمهم ودعاهم بالرفق إلى دينه العظيم، حتى إنك تجد في الصحابة الأمير والعالم والعاقد والشاعر والخطيب والمجتهد في التدين والمقتصّر على مستويات متباينة، ومقصودي من هذا ألا نقصي طائفة داخل المجتمع المسلم؛ لأنها لم تتشغل بالعلم الشرعي؛ فإن لها حق الإسلام وحرمة الدين وأخوة لا إله إلا الله، فلا يقال: المتدينون والرياضيون والكتّاب تحت مقصد إضفاء التدين على طائفة واحدة، بل كلهم مسلمون، بل يقال: طلبة العلم والرياضيون والكتّاب وهكذا؛

لأن نصب الحواجز بين أبناء الدين الواحد على غير سبب شرعي ليس منهجاً صحيحاً. والغلاة من كل طائفة يستثيرون خصومهم ويستفزون من يخالفهم فيُرد عليهم بالمثل من الاستشارة والغلو والتنازع بالألقاب والسب والشتم، فتجد بعض المتدينين لقلّة بضاعته من العلم في خصومة مع مَنْ خالفه من المسلمين حتى في فروع المسائل يرى أنه يجب على المسلمين اتباع رأيه، وتجد بعض غلاة الكتّاب يرد على المتدينين بأبشع الأوصاف وأقبح الألفاظ مما يقسّم المجتمع ويثير في النفوس العداوة والبغضاء.

ولو اتسعت صدورنا وارتفعت هممنا لخاطبنا إخواننا المسلمين بألطف العبارات وأجمل الأساليب؛ فإن الآراء لا تصحح بالسب والشتم، والبراهين لا تعرض بالتهديد والوعيد، لأن الحجة الصادقة الناصعة تكفي بنفسها في إثبات الحق، فرجائي أن نعترف بمستويات التدين وأن نقبل الناس على علاّتهم، ولا نزكي أنفسنا، والله أعلم بمن اتقى، ولسنا نحن من يحاسب الناس، وليست في أيدينا الرحمة أو العذاب، وليست في جيوبنا مفاتيح الجنة، ونحن لم نخلق الناس، ولم نرزقهم، بل نحن عبيد مثلهم.

وقد يكون بعض الناس ممن لا يشار إليه بالبنان أفضل عند الله ممن اشتهر بالتدين إما لسريرة صادقة أو عمل خاص متقبّل أو خاتمة حسنة، فادعوا الخليفة بالرفق وعاملوهم بالعدل واشملوهم بالرحمة، وليكن إمامكم في ذلك سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ الذي قال له ربه: ﴿فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.



## حضارة الإنسان قبل حضارة المكان

جميلٌ أن تكون لدينا طرق معبّدة وشوارع واسعة وحدائق منّظمة، وأجمل من ذلك أن يكون عندنا أمة واعية وشعب مثقف وجيل متعلم موهوب، زراعة الأفكار بأدمغة العباقره أعظم وأجلّ من زراعة النخيل في البساتين الفيحاء، احترام الذوق العام والاعتناء بالنظام وترتيب شؤون الحياة والتزود من العلم والمعرفة أنفع لنا من نوافير تضخ الماء في الميادين العامة ومن ناطحات سحاب تختال في السماء ومن أبراج عاجية تمتطي الجو، إن صناعة الإنسان إنجاز كبير تقوم به الدول المتحضرة؛ لأن الاستثمار في الإنسان أغلى وأثمن من الاستثمار في المكان، نحن في الشرق نهتم بالبناء والحيطان والجدران والآثار، وهذا جميل، لكن الأجل منه الاهتمام بغرس الفضيلة في النفوس والرحمة في الأرواح والمعرفة في الأذهان؛ لأن الإنسان محور الحضارة ونقطة الانطلاق إلى آفاق الرقي والازدهار، ماذا تنفعنا فنادق فارهة وجسور عملاقة وقاعات واسعة مع حشود من الجهلة والمتخلفين الصادّين عن العلم النافع والمعرفة الراقية والخلق الكريم.

إن الإنسان الجاهل الهمجي يخرب العمران ويفسد المكان، إن القطيع من الهمجيين الغوغائيين المنحرفين يتحولون حتى في المدن الراقية إلى لصوص وقطاع طرق ومحاربين وشبكات من المخربين ومروجي الأفكار السامة والأعمال الهدامة، نريد صناعة بشر بنور الوحي على أرض الرسالة يسقى بماء الهمة ويكسى بجلباب الأدب الجميل والسلوك الراق، تعال بإنسان مؤمن متعلم منظم مرتب إلى قرية مبعثرة بالية فسوف يحولها إلى روضة أنس ومهرجان معرفة وساحة عمل وإنتاج، وتعال بإنسان متخلف سفيه طائش أهوج بليد إلى حي راق منظم مرتب جميل، فسوف يحول الحي إلى سوق من الضوضاء والهمجية وإلى أطلال بالية بفساد ذوقه وقبح نفسه وسوء تصرفه وذميم أفعاله، في العالم العربي تُقام حدائق للحيوان، فيؤتى بأسد من أوغندا وحيّة من كينيا وثعبان من السنغال وفيل من

الهند وثورٍ من إسبانيا وبغلٍ من رومانيا، ثم يُصرف على الحديقة ملايين في الغذاء والنظافة والترتيب والحراسة والدواء والسكن، ولكن الجمهور المتفرج في حاجة إلى مالٍ يتعلم به وينظف جسمه ويصحح أفكاره ويغسل ثوبه ويشبع بطنه ويصرف على أسرته ويعلم أبناءه، ولكن مع الأسف تجد الكثير من هذا الجمهور المتفرج على الحيوان المكرم المعتنى به جاهلاً أُمياً محدود المعرفة ساقط الهمة عديم الذوق!

في الدول النامية المتخلفة يُهتم بالصورة والمظاهر والظاهرة الصوتية والقوالب على حساب المضمون والمدنية والرقى والنظام والذوق العام والمعرفة، وفي الدول المتحضرة يُهتم فيها بالمعاني وقيمة الإنسان وتنمية الفكر وتربية الموهبة وتثقيف الإنسان والاهتمام بالنابغين والتنافس في الريادة العلمية، إن العبرة بالسيف الصارم لا بذبذبه الجميل، فلو ألبست إنساناً جاهلاً منحطاً سفيهاً تاجاً على رأسه ونياشين على أكتافه وأوسمة على صدره لبقى صفرأً كحاله الأول لا يزداد إلا انحطاطاً وضعةً وخفةً، ولو ألبست عالماً موهوباً منتجاً عاملاً أسماً بالية وثياباً ممزقة لبقيت قيمته وجلاله ورزقته في نفسه ولما ضره لباسه. وفي الحديث الصحيح قوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».



## يا دعاة الإسلام الزموا الوحي

الأصل في الداعية أن يكون على منهج الأنبياء عليهم السلام في لزوم الوحي والدعوة إلى التوحيد الخالص وتعليم الناس سبيل النجاة في الآخرة، مع توجيههم في أمور دنياهم التوجيه الديني، أما أن يترك الداعية هذا المنهج ويتحول إلى تخصصات أخرى باسم الدعوة إلى الله فهذا خطأ؛ فتجد الكثير من الدعاة تركوا فقه الكتاب والسنة وإصلاح عقائد الناس وتقويم أخلاقهم، وذهبوا إلى حقول إدارة الوقت وفن التعامل مع الآخر واكتساب الأصدقاء وإدارة العلاقات الاجتماعية وفن الخطابة وقضايا الحب والتحدث عن المستحضرات التجميلية والفنون التشكيلية.

وهذه التخصصات لها رؤاؤها والمتخصصون فيها، بل أصبحت هناك دورات تدريبية لكثير من الدعاة برسوم مالية في مشروعات دنيوية باسم الدعوة إلى الله تحت أسماء اكتساب المهارات وتنمية القدرات وتقوية اللياقات والمواهب، فلا آية ولا حديث ولا كتاب ولا سنة، وأنا أعرف أن ديننا الإسلامي هو للدنيا والآخرة ولكل شؤون الحياة، لكن هناك مسلمين قائلين بهذه التخصصات؛ لأنهم قضاوا حياتهم في تعلمها كالمهندس والطبيب والصيدلي والعسكري والمزارع والنجار والخياط والبناء وغيرهم، فيأتي الداعية فيترك تخصصه الشرعي في تعليم الناس ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وإصلاح عقائدهم وتهذيب أخلاقهم، يترك هذا ويذهب يزاحم أهل التخصصات الأخرى، فيدخل في دورات ليس له فيها علم، ولم يدرسها أصلاً ولكن ركوباً للموجة، وموافقة للموضة، واستفادة من الشهرة، تحت مفهوم أن الشريعة فيها صلاح كل شأن وتقويم كل اعوجاج، وهو كلام صحيح، ولكن تطبيقه من الدعاة خطأ، فأصبح بعضهم يجيب على الهواء مباشرة عن مسائل الحلال والحرام، والشؤون العسكرية، والسلم والحرب، والاقتصاد والتجارة، والأسهم والبنوك والبورصة، والعلاقات الدولية، والزلازل

والبراكين، والكوارث الطبيعيّة، والمحاصيل الزراعيّة، وأزمة الغذاء، والماء والهواء والبطالة، وتحسين الأجور، والعمل والعمال، والتاريخ والجغرافيا، والطب الشرعي والطب البديل، وعلم النفس والاجتماع والفلسفة، والمشاركة في بعض الاكتشافات والاختراعات والكيمياء والفيزياء والسيمياء، فلا يعرف الاعتذار من أي جواب، ولا قول: لا أدري، وكأنّ الله جمع فيه علم الشافعي والبخاري وابن سينا وابن خلدون والمتنبي والغزالي وشكسبير، فله إمام بكل شيء، واطلاع على كل شيء بلا حدود ولا قيود ولا ضوابط، وأغلبها كلام في كلام، ونقطة من هنا ونقطة من هناك، المهم أن عنده مشاركة وهمة وتفاعلاً اجتماعياً ودورات تدريبيّة وسكرتارية ولجنة إعلامية، فأين المنهج النبوي الصحيح من لزوم الوحي والتمسك بمنهج الأنبياء عليهم السلام في غرس الإيمان في النفوس وتعليم الناس العبادة والخلق الحسن وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر في سهولة ويسر ورفق وحكمة بلا تشدد ولا تكلف؟

وانظر إلى سيرة الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والمجددين كيف لزموا علم الشريعة ومسائل الإيمان وعلم الحلال والحرام، وتركوا التثدق والتفهيق والتتطع، فبارك الله في جهودهم، ونفع بدعوتهم، واهتدى بعلمهم خلق كثير، ثم إن هذا اللون الحادث الطارئ من الدعوة ما سمعنا به في آياتنا الأولين، فليس له مثيل ولا شبيهه.

فيا دعاة الإسلام، راجعوا أنفسكم، والزموا الوحي، وعودوا للكتاب والسنة، واحترموا التخصصات الأخرى التي ما درستموها، فلها أبطالها وجها بذتها، وقد كفوكم تبعتها، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.



## الإسلام والعالمية

الإسلام عالمي من أول وهلة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ولا بد لحملته ودعائه من الإيمان بفكرة عالمية الإسلام، فيحرص على جمال صورته وتقديمه للعالم في أبهى حُلَّة، بحيث يكون إسلاماً محبوباً مقبولاً، إن الإسلام المشوّه الذي قدمه البعض ليس هو الإسلام الجميل الذي أتى به محمد بن عبد الله ﷺ، إن إسلامنا دين سلام كما يدل عليه اسمه ودين أمن ودين عدل ودين تسامح لا ظلم فيه ولا قهر ولا عدوان: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. فكيف نقنع العالم بعدالة قضيتنا وسماحة دعوتنا، إذا قدمنا لهم إسلاماً حاداً متشجراً يهدد أمن الناس وحياتهم، لا بد أن يعي العالم أن هذا الدين رحمة للإنسانية يدعو إلى حياة آمنة للجميع فيها تعارف وتجاوز وتواصل، ولهذا رحبت أمم الأرض بالإسلام من أول يوم، ودخل الناس فيه أفواجا؛ لأنهم وجدوا فيه السلام لأنفسهم، والأمن لحياتهم، والبناء لمستقبلهم، رحب به بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، ومحمد الفاتح التركي، ونور الدين التركماني، وصلاح الدين الأيوبي الكردي، ومحمد إقبال الهندي، ومحمد علي كلاي الأمريكي، فالذي يريد أن يحافظ على صورة الإسلام الجميلة فليحافظ على مقوماته التي بُعث بها الرسول الكريم ﷺ، ومنها التعارف والتواصل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ومنها فتح الحوار والإقناع: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

ومنها عدم الإكراه والقهر بل الحجة والدليل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ومنها الاعتراف بإنسانية الإنسان وحقه في الحياة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ وإن تقديم الإسلام بصورة مشوّهة لهو معضلة كبرى قام بها الجهلة من الغلاة أو الجفاة، وهؤلاء كانوا سبباً في صد الناس عن الإسلام واتهامه ظلماً وعدواناً بأبشع الأوصاف، كما قال المفكر محمد الغزالي: الإسلام قضية عادلة لكن المحامي فاشل، إذا فتحنا في حاجة

إلى محام عن الإسلام عاقل رشيد، وفي حاجة إلى مدع عام حكيم ذكي، أما الأغبياء والحمقى فيحتاجون إلى حَجْرٍ صحي لمدواتهم حتى يشفيهم الله من أمراضهم النفسية والفكرية، ألا يسأل الإنسان نفسه: ما سرُّ انتشار الإسلام في عشرات السنوات من سور الصين العظيم شرقاً إلى نهر الراين غرباً؟ أليس هذا دليلاً على عالميته وسماحته وجاذبيته؟ إن دول آسيا التي أسلم شعوبها لم يدخلها مقاتل مسلم ولا دبابه ولا صاروخ إنما دخلها تجار صالحون دعوا إلى الإسلام بأخلاقهم وتواضعهم وعدلهم، فاستجاب لهم أهل تلك البلدان، إن مهمتنا كدعاة للإسلام أن نحرض على أن يدخل الناس الجنة بالإسلام، ولو كانوا نصارى أو يهوداً أو بوذيين أو مجوساً، فقضيتنا معهم:

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

إن الرسول ﷺ لما أرسل أمير المؤمنين أبا الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقتال اليهود في خيبر قال له: «ادعوهم إلى لا إله إلا الله وأني رسول الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حُمرة النعم»، إذن ليست المهمة إنهاء الآخر بل إنقاذه من الضلال وليس المطلوب بتعجيله إلى النار، بل إدخاله الجنة بالهداية، إننا في حاجة إلى وقفة تأمل وتعقل أمام قوله ﷺ: «إنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» وأمام قوله: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»، لن يستجيب لنا أحد حتى يضمن الأمن والسلام لنفسه وللمستقبل، ولن ينصت لنا أحد حتى نحترم إنسانيته ونعطيه مكانته، الإسلام عالمي ولو أبقى الرعاع، والإسلام رحمة ولو كره الفوغاء، والإسلام حياة ولو رفض الغلاة، عمر الإسلام أطول من أعمار المنتسبين إليه، وآفاقه أوسع من آفاق المقصرين عن فهمه، الإسلام جميل لكن لا يبصره أصحاب النظارات السوداء، قال النبي:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرِّ مَرِيضٍ

يَجِدُ مُرّاً بِهِ الْمَاءَ الزُّلْالَا



## كفى تشويهاً للإسلام

ما ذنب سائق التاكسي الفقير الذي يُذبح كما تُذبح الشاة في شوارع الدار البيضاء والجزائر بحجة الجهاد في سبيل الله؟ ما ذنب الجندي الذي يحرس عمارة بمرتب زهيد يعول أطفالاً ينتظرونه في البيت، ثم يُفجّر في صدره الرصاص بحجة أنه مرتد؟ ما ذنب العامل البسيط ونادل المطعم وموظف الشركة والشيخ الكبير والعجوز الكسيرة والطفل البريء؟ ما الجُرم الذي ارتكبه حتى تُمزق أجسامهم بالقنابل بذريعة حماية الإسلام والذّب عن حياض الملة؟ الإسلام بريء من هذا العمل الشنيع البشع، الإسلام أشرف من أن ينحط حملته إلى هذا المستوى الدنيء الممقوت، الإسلام دين ربّاني عالمي حضاري إنساني أخبر رسوله الأعظم ﷺ أن امرأة حبست هرة حتى ماتت، فعذّب الله المرأة بسبب الهرة، الإسلام حرّم الاعتداء حتى في قتال المحاربين، يقول سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

كان عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وحرّبة غدر في ظهر الرسول ﷺ والصحابة وفعل الأفاعيل ضد المؤمنين، حتى قال الصحابة للرسول ﷺ: ألا تقتله يا رسول الله؟ فقال الرسول ﷺ: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، يالروعة الكلمة ويالجمال مدلولها، كيف يتحدث العالم أن رسول الهداية الربّانية ونبي الرحمة يقتل من صاحبه ساعة من نهار، ولو كان منافقاً بل رأس المنافقين حينها لن يدخل أحد الإسلام، سوف تشوّه صورة الإسلام الجميلة لو حصل من الرسول ﷺ تصفيات جسدية لمن كان معه، فما بالك بمن أتى بسلاحه وقنابله ومتفجراته إلى العزل إلى الأبرياء إلى الطفولة إلى الشيخوخة إلى طبقات الضعفاء الكادحين وراء لقمة العيش إلى صفوف المساكين المعذّبين بقهر الغلاء والوباء والمرض والديون، فأتى من يذبحهم بدم بارد ليشوّه صورة الإسلام الجميلة عبر شاشات الفضائيات ومواقع الإنترنت ويشمّت بنا الأعداء ويضحك علينا الأمم ويجعل ملياراً ونصف المليار مسلم في

موقف لا يُحسدون عليه، خجلنا واللّه من هذه التصرفات نأسف لهذا العمل الأرعن السفیه، نبرأ إلى اللّه من هذه الأفعال الشريرة، ونعزّي الأمهات المسلمات في الجزائر والمغرب والعراق وكل بلد أُبتلي بهذه الآفة ونقول لهؤلاء الغلاة: كفى تشويهاً للإسلام، وكفى إساءة لحملته الصادقين، وكفى إضراراً برسالتنا الخالدة، ألا عقل يردع؟ ألا ضمير يستفيق؟ ألا بقية من إسلام؟ ألا ذرة من حياء؟

شاهدتُ عجوزاً في مكان الانفجار تصرخ، وتولول وترفع يديها إلى السماء، وتقول: اللهم، انتقم لنا منهم، شاهدتُ عاملاً بسيطاً يكدح في طلب الرزق قد انفصلت قدمه وسالت دماؤه وهو يتحب، شاهدتُ فتاة في ريعان العمر تغيرت معالم وجهها، وذهبت عيناها وأنفها ودماؤها تبلُّ الثرى، الآن يشمت بنا المحتلون الصهاينة واليوم يضحك علينا أعداء الإسلام ويصفقون طرباً بما فعله السفهاء منّا، كلما قام عقلاؤنا بتصحيح صورة الإسلام ودفع الشبه عنه قام السفهاء بتشويه هذه الصورة وطمسها، كيف ندعو العالم الآخر للإسلام وهم يشاهدون بعض المنتسبين إليه يفجرون المطاعم وملاجئ الأيتام والمدارس والمستشفيات ودور الرعاية؟ ويا حسراته على من فعل بالإسلام، الدين الخاتم دين الرحمة والعدل والسلام الذي اعترف بجلالته وسموه وعالميته حتى أعداؤه، كل يوم نضع أيدينا على قلوبنا خوفاً من تشويه السفهاء وأفاعيل الحمقى وتصرفات الأغبياء، ارفعوا فوهات البنادق وأغمدوا سيوف الغدر، وضعوا السلاح، فقد سفكتم الدم الحرام، وقتلتم النفس المعصومة، وشوهتم الدين العظيم، وأبكيتم الأصدقاء وأفرحتم الأعداء وأشتمتم بنا أمم الأرض، اخرجوا إلى النور، وأقبلوا على طلب العلم وصحّحوا مسيرتكم، وعودوا إلى رشدكم، وتعالوا إلى جماعة المسلمين، وادعوا إلى سبيل اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وشاركوا في التعليم والبناء ونفع الناس والوقوف مع المساكين وإغاثة المهوفين، وساهموا في صنع حضارة الإسلام، فباب التوبة مفتوح وكلنا خطّاء، وخير الخطّائين التوابون.



## اختطاف المشروع الإسلامي

ما هذه الفتنة العمياء، والداهية الدهياء، التي ضربت في صميم مجتمعاتنا، واجتاحت فتناً من شبابنا، وحوّلت سهامهم إلى صدور أهلهم، فأخربوا بيوتهم بأيديهم، فخرّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فكشفت أوراقتهم، وظهرت مخبأتهم، فيا للفجيعة الفظيعة، وللعمل المشؤوم، والمصير المظلم!

إن المشروع المحمدي كان عنوانه (رحمة للعالمين) كل العالمين، استظل بفيئته الوارف القريب والبعيد، والموافق والمخالف، والبر والفاجر، وكانت الرحمة شعاره ودثاره، حتى قال لأعدائه حين ظفر بهم: «أذهبوا فأنتم الطلقاء»، ولم يحاكمهم على جرائمهم، ولا كشف أوراق من خططوا لاغتياله في العقبة يوم تبوك، وأبى قتل المنافقين، وهم أحابيل المؤامرة اليهودية على الدولة الناشئة، وأعرض عن غورث بن الحارث وقد شهر السيف صلتاً فوق رأس المصطفى ﷺ، وفتح مكة بعدما امتنعت عليه، فما نصب المشانق ولا أقام المجازر، وما قتل أعمدة الحرب وأركانها، كان قتلى الفتح دون أصابع اليد الواحدة، فصحّ أنه رحمة، وأن دينه رحمة، وأن شريعته قامت على الرحمة.

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ

هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ

وَإِذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ أَوْ أَعْطَيْتَهُ

فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءٌ

والمشروع المقتضي أثر النبوة يجب أن يكون رحمة وبراً، ودعوة وحباً، وتأليفاً ولطفاً، وتسامحاً وعضواً.

أما العدوانية الباغية التي تأتي على الحرث والنسل، وتقتل القريب والبعيد، وتحمل السلاح على الأمنين، وتنبذ العهد، وتشق عصا الطاعة، فهي خروج على الصف الواحد، تجدد ما كاد يندرس من صنيع سفهاء الأحلام، حدثاء الأسنان، الذين عوّقوا مسيرة الفتح، واعترضوا مشروعات التنمية والبناء، وأربكوا خطة الدعوة، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل.

مَن المستفيد من تدمير المنشآت؟ ومن الراجح من ضرب البنية الاقتصادية؟ ولمصلحة مَنْ تتلقى أجيال وشعوب رسالة مضلّة مفادها أن الإسلام قتل وتدمير وعشوائية وعدوان؟ ما هذه الجراءة على حدود الله وتقّم المهالك؟ واستحلال الدم الحرام؟ وإهلاك الحرث والنسل؟ والتعرض للحرمان العظيمة في كعبة الله وبيته، وفي عباده الصالحين، وفي أهل الأذكار والأسحار، وفي الرُكع السجود، وفي عوام المسلمين المصلين، وفي الصبية البراء، والحرمان والنساء؟

أي عقل غرب عن هؤلاء؟ وأي ضمير مات؟ وكيف استرخصوا أنفسهم في غير طائل، وأقدموا على حرب يخوضونها بالباطل، فلا لحق الله رعوا، ولا خوف من عقوبته وناره ووعيده دعوا، ما أقبح الانفصال عن الجماعة، وخلع السمع والطاعة، والاعتداد المفرط بالرأي ولو قاد إلى هوى، واللجج في الخصومة ولو أدى إلى التلف.

الأمة اليوم في مهبط الوحي تنفياً لظلال مشروع إسلامي شامل، يبني المجتمع، وينمي الاقتصاد، وينشر العلم، ويجمع الشمل، ويوحّد الصف، ويسعى للتطوير، ويستوعب الجميع، ويفتح أبواب الخير والعمل والنفعة وكل من أراد أن يعمل أو يبني أو ينجز، وما هو بمعصوم عن النقص الذي يتطلب الاستدراك والتصحيح والتناصح بين المؤمنين، إن طالباً في صفّه، أو طبيباً في عيادته، أو جندياً في تكنته، أو خبيراً في عمله، أو عاملاً في حقله، أو راعياً لغنمه، أو امرأة في بيتها، هم شركاء في إنجاز وعمل صالح فيه مرضاة الله، ونفع لخلقه، وهم أعضاء صالحون

في المشروع الحضاري للإسلام، أما هوة التدمير، ومحترفو التفجير، وأساطين التكفير، فلهم كل السخط من الجميع، والنبيذ من الكلّ، وهم شجرة حنظل اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، المشروع الإسلامي رحمة وعدل وتعمير، والمشروع الظلامي عنف ورعب وتدمير، المشروع الإسلامي معه العدل والشرعية والأمة، والمشروع الظلامي معه البغي والعدوان والخروج على الإجماع.



## الإسلام السياسي في مازق

أنا مؤمن والله أن الإسلام هو الحل عقيدةً وحكماً ومنهج حياة، ولكن على طريقة رسولنا ﷺ وسوف أكون اليوم شجاعاً بدرجة إيصال صوت النصح لإخواني الإسلاميين في الحركات الإسلامية، وسوف أترك المجاملة حتى أنتهي من كتابة هذا المقال، فأقول: ألا يكفيننا ما مرَّ بنا من تجارب وحوادث دامية مبكية أثمرتها المواجهة مع الحكام والصدام الدموي معهم دون فهم لسنن التاريخ وتدبر للواقع، لماذا اتجه أهل الإسلام السياسي من إصلاح الفرد والأمة إلى طلب الحكم والحرص على الكرسي بأي ثمن ليحكموا شعوباً جاهلة بالدين (هريانة كحيانة)؟

لماذا نجعل إقامة الخلافة من أهم مطالب الدين ومقاصد الملة كما قالت الشيعة في الإمامة؟ بل أهم مطالب الدين الإيمان بالله وحده وإفراده بالعبودية واتباع رسوله ﷺ والعمل بطاعته، لماذا نحرص كل الحرص على تولي المناصب التي رفضها من هو أتقى وأعلم وأكرم منا: الثوري، وابن المسيب، والحسن البصري، ومالك، والشافعي، وأبو حنيفة، وأحمد وكل أئمة الإسلام، ما هذا التصعيد الحاد في الخطاب، وطلب المنازلة، والحرص على المواجهة، هل نريد زيادة في التنكيل بنا وذبح أبنائنا وهدم بيوتنا وتشريد نساتنا؟ أقول وقلبي مع الإخوة في فلسطين وهم يعيشون الحصار والقتل والتدمير والتضييق بل المجاعة والاجتياح من قبل عدو شرير مارد أعطي الفرص من كل الأطراف لممارسة العبث والهوج والتلاعب بدماء المسلمين.

وأنا لا أطالب الإسلاميين بسياسة بعض الأنظمة العربية التي آثرت الذل والخنوع والتبعية مع المحتل، إنني أطالب الإسلاميين بسياسة رسولنا ﷺ الإمام القدوة، فإنه في حال الضعف آثر عدم المواجهة كما فعل مع المشركين في مكة، واهتم ﷺ بإصلاح الناس وتربيتهم وتعليمهم، حتى أخرج جيلاً راشداً مثالياً، ثم أقام دولة هي أعظم وأعدل دولة عرفها التاريخ، وعلى

الإخوة في فلسطين وفي غيرها من بلاد الإسلام ألا يعولوا كثيراً على المواقف الشفوية العاطفية المجردة من النفع، التي تنتهي بخطاب مواساة وتضامن يوقعه ألف عالم إسلامي، فوالله لو كتبت عريضة دون دعم مالي وعسكري ووقع عليها مئة عالم مسلم وأذاعتها أشهر قناة فضائية (99) مرة لما أطعمت هذه العريضة أبناء الشعب الفلسطيني خبزاً من (البقالة) ولا أسقتهم كوب ماء، ماذا جنينا من المواجهة الدموية مع النظام في مصر وسوريا والجزائر وتونس غير السجون والقتل ويتم الأبناء وضياع الأسر وحظر الدعوة والتضييق على العلماء، وكأن بعض الإسلاميين يرون أن الإنسان لن يدخل الجنة حتى يسجن ويقطع ظهره في الزنزانة ثم يذبح ويسلخ (بل نسأل الله العفو والعافية).

وفي الحديث: «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية»، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته: إن الطوائف المحتسبة من أهل العلم ما قامت على سلطان عادل أو ظالم إلا كانت الدائرة على تلك الطائفة؛ لأنها جهلت المنهج النبوي على حديث: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، فبدل أن تقوم هذه الحركات الإسلامية بالدعوة النبوية وإصلاح الأمة وتربية الجيل تريد أن تقفز إلى رأس الهرم وتهمل القاعدة وتواجه أنظمة ولو أنها فاسدة ولكنها تملك طوابير العسكر وجيوش الشرطة وأسراب الطائرات وقوافل الدبابات، بينما عند الإسلاميين عشرة مراكز صيفية ومئة خيمة كشفية، وانظر إلى الإسلاميين في الجزائر وأنا أعلم أن النظام ظلمهم حقهم لما فازوا في الانتخابات، كانت طريقتهم في الدعوة غير ناضجة وكان المطلوب منهم تربية الشعب الجزائري الباسل على الإيمان؛ لأنه خرج من الاستعمار جاهلاً بدينه وعقيدته، وفي حاجة إلى تربية إسلامية راشدة، ولكن ترك ذلك كله إلى خطب رنانة طنانة حماسية عاطفية تدعو إلى: النزال النزال بلا علم ولا روية، ثم قامت المظاهرات والاشتباكات ثم القتل والتدمير ثم تمزيق الشعب الجزائري وإزهاق أرواح ربع مليون مسلم حرام الدم، فهل كان

يعرف الإسلاميون أن حكومة الجزائر عندها نصف مليون من الجيش المدجج بالسلاح وربع مليون من الدرك الملقم بالقنابل وثكنات من العتاد، بينما ليس عند الإسلاميين إلا ألف كتاب، ومئة مسجد جامع وصحيفة واحدة، أخرجوا لنا الآن عشرة علماء كبار من علماء الشريعة يشار إليهم بالبنان في الجزائر أو تونس أو المغرب أو غيرها.

أفيقوا أيها الإسلاميون، وحكموا سياسة الرسول ﷺ في دراسة المراحل ومعرفة الحال والفهم لرسالة الإسلام ومقاصد الشريعة، وأصلحوا الناس وردّوا الشعوب إلى الإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ ودعونا من العنتريات والغضبة المضريّة التي ما قتلت ذبابة بل جرّت علينا الويلات والمعتقلات والأزمات، وأنا بالمناسبة أحيي حزب العدالة والتنمية الإسلامي بتركيا، وأنا قد زرت تركيا ثلاث مرات فوجدته يربي الناس على تعاليم الإسلام الصحيح، وعنده حكمة وصبر وذكاء ودبلوماسية وفهم للواقع وفقه بالمناخ الدولي، فاعتبروا أيها الإسلاميون، وأعيدوا القراءة من جديد، وهذه نصيحة من أخ ناصح محب: ﴿إِنْ أُرِيدُوا إِلَّا الْأَصْلَحَ مَا اسْتَطَعْتَ وَمَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.



## نعم للإسلام لا للطوائف والمذاهب

زرت أثيوبيا وأقيمت محاضرة بأديس أبابا حضرها جموع من كافة المذاهب والحركات الإسلامية من الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والإخوان والتبليغ والصوفية وغيرهم، فقلت للجميع: أنا لا أدعوكم إلى مذهب من هذه المذاهب أو جماعة من هذه الجماعات، فأنا لست حنفياً ولا مالكيّاً ولا شافعيّاً ولا حنبليّاً ولا إخوانياً ولا تبليغيّاً ولا أنتسب لأي مذهب فقهي ولا جماعة إسلامية معينة بل أدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما كان عليه أهل بيته وأصحابه رضوان الله عليهم، ولست معصوماً بل قد يصدر مني أخطاء، فإذا خالف قولي الكتاب والسنة فاضربوا بقولي عرض الحائط، فمظلتنا الكبرى جميعاً الإسلام، ورسالتنا التوحيد، وما فرقتنا إلا هذه المذاهب والحركات والشعارات والأحزاب، فالله سمانا المسلمين ودعانا إلى الاعتصام بحبله وأوجب علينا أخوة الإيمان ونهانا عن التفرق والاختلاف لكننا أطلعنا الشيطان في التحريش بيننا، فبدأ التعصب الفكري في عصر انحطاط الدولة الإسلامية وظهر التقليد المذهبي في وقت فتور الهمم وانطفاء نور الوحي وهجر الدليل كتاباً وسنة، ونشأت جماعات إسلامية وحركات دعوية وأحزاب وطنية ومناهج فكرية وطوائف متناحرة متصارعة أضعفت وحدة المسلمين وشتت شملهم ومزقت كلمتهم وأوهنتهم أمام أعدائهم وأضرت بسمعتهم وخالفت بين قلوبهم فحارب بعضهم بعضاً وقاتلت طائفة منهم طائفة أخرى واستحكم بينهم العداة وانتشرت البغضاء وعمت الشحناء؛ لأنهم تركوا المنهج الأول والهدي النبوي الكريم في التمسك بالكتاب والسنة، فابتلاهم الله بالاختلاف والشقاق والفرقة.

وبهذه المناسبة، فإني أدعو جميع المسلمين وكل من يتشرف بحمل: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أن يعود إلى رشده وينبذ التقليد المذهبي والتعصب الطائفي، والميول الحزبية، والاغترار بالشعارات والاستماع لكل ناعق، بل عليه

أن يعود إلى الوحي المنزل وإلى سيرة النبي المعصوم ﷺ ويحكم الشريعة على ظاهره وباطنه وينضوي تحت مظلة السنة النبوية، ويهتدي بهدي خير القرون من الرعيل الأول الذين زكاهم الله وأثنى عليهم ورضي عنهم، وليتق المسلم ربه فلا يزيد في تمزيق الأمة بالدعوة إلى مذهب أو طائفة أو جماعة أو حركة أو حزب، بل عليه أن يرضى بما رضيه الله له ولكل مسلم من اتباع رسوله الإمام القدوة والأسوة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

وقد زرت أكثر من ثلاثين دولة فوجدت أن المسلمين نقلوا خلافهم المذهبي والطائفي والفكري إلى بلاد الغرب والشرق، فالمساجد والمراكز الإسلامية موزعة بين المذاهب والجماعات والطوائف والحركات الإسلامية وبلغ من سخف بعضهم وحمقه وطيشه وتهوره أنه استخدم المنبر والمحراب في التشنيع والتحذير من إخوانه المسلمين من الطوائف والمذاهب والجماعات الأخرى التي لا توافق رأيه، فصرنا ضحكة بين الأمم ونكتة بين الشعوب تلوكنا الألسن ويسخر منا الآخرون، وبدل أن ننشر رسالتنا الربانية العالمية الخالدة أصبحنا ننشر غسيلنا ومآسينا ومصائبنا وبغضائنا بين الأمم فانشغلنا عن نشر الإسلام بمحاربة أهل الإسلام وتركنا الوحدة الإسلامية إلى الدعوة الحزبية الطائفية المذهبية المقيتة الضيقة، وقد زرت في خلال رحلاتي من دعائي من كل المذاهب والطوائف والجماعات الإسلامية فكنت أدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإلى الوحدة الإسلامية والرابطة الإيمانية ونبذ الخلاف والفرقة والشقاق وأخبرهم بمآسي النزاع الذي حصل بيننا والفرقة التي حلت بنا وكيف توحد غيرنا على اختلاف أعراقه ومذاهبه وتوجهاته واختلفنا نحن برغم وجود الدين الصحيح معنا والشريعة السمحاء والملة المحمدية المباركة، فصرنا كالمحامي الفاشل الذي يدافع عن قضية عادلة، حرام هذه الفرقة، حرام هذا الاختلاف، حرام هذا التنازع، حرام هذا التصرف الصبياني الطائش العبثي، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنفُسَكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَذَهَبَ رِيحُهُمْ﴾.

متى نتصر على الشيطان والهوى والنفس الأمارة؟ متى نعود عودة صادقة للمنبع الأول الصافي العذب الزلال؟ منبع: قال الله، وقال رسوله ﷺ، تعالوا أيها المسلمون، إلى الوحي المقدس ودعونا من آراء الرجال وأفكار البشر وتوجهات الناس، ونعم، للإسلام ولا، للمذهبية، ولا للطائفية، ولا للحزبية، ولا للتعصب، ولا للتقليد: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾، كفى قتالاً، كفى نزاعاً، كفى حقداً، كفى بغضاء، آن الأوان للاتفاق والعناق ونبذ الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.



## الخلافة الإسلامية في غرفة بلندن

حدثني أحد الدعاة المشهورين أنه سمع خطيباً في لندن يخطب خطبة الجمعة في غرفة ضيقة معه مجموعة من الأشخاص وهو يدعو لإقامة الخلافة الإسلامية، قال الداعية: فأخذت أضحك من المشهد، والحقيقة أنه مشهد مضحك مبك، فشخص قليل العلم غريب عن أهله ومجتمعه في غرفة بالأجرة وعاجز هو وإخوانه عن بناء جامع، وهو يحمل إقامة مؤقتة قام ينادي بإقامة الخلافة الإسلامية التي عجزت عن إقامتها دول ومنظمات وجماعات إسلامية، وما أدري ما هذا الحمق الذي تلبس بهذا الخطيب حتى أنساه نفسه وواقعه وخرج من العالم المشهود إلى عالم الرؤى والأحلام، والواجب عليه أولاً أن يطلب العلم حتى يدعو إلى الله على بصيرة ثم يتكلم فيما ينفع الناس من دعوة إلى الإيمان بالله والخلق النبيل والحكمة والموعظة الحسنة، وقبل أن يدعو إلى إقامة الخلافة عليه أن يؤمن بأجرة الغرفة التي يخطب فيها من دخل حلال، وعليه أن يصلح وضعه القانوني في البلد الذي يقيم فيه أو فرّ إليه من القمع أو هرب إليه من الفقر أو شرد إليه من الجوع، ثم بعد ذلك ينبغي عليه أن يحسّن صورة الإسلام المشوهة عند الكثير من غير المسلمين، وهذا التحسين يكون بالكلمة الطيبة والخلق الجميل والبسمة الموحية والتصرف السليم والنهج الحكيم.

فالخلافة الإسلامية ليست ورقة مزيدة ولا سلعة مرابحة، فالمسلمون قبل الخلافة وبعدها مأمورون بتوحيد الله واتباع رسوله ﷺ والتألف والتآخي والرحمة بالناس والرفق بالبشر وإصلاح النفس والمجتمع، وسوف نعبد الله وندعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة قبل الخلافة وقبل المهدي المنتظر، أما إحالة الناس إلى المجهول وإدخالهم في نفق مظلم لا يعلمون نهايته فهذا شأن المهرجين والمخرجين والمروجين، ألا تعجبون من شاب سافر إلى بريطانيا يطلب اللجوء السياسي وليس له مال ولا وظيفة ولا سكن ولا مرتب، فلما أصبح مقطوعاً من شجرة وهو عزب فقير

مشرد قام في غرفته خطيباً ينادي زملاءه بإقامة الخلافة الإسلامية ونسي أن الأمة الإسلامية أمة المليار ونصف المليار من جاكرتا إلى نواكشوط عجزت عن أن تتفق على قرار واحد حول العراق وفلسطين وأفغانستان؟ ويريد هذا الأخ أن يجمع الأمة من غرفة في شقة في عمارة في شارع في حي من أحياء لندن (والجنون فنون).

إن ممثلي الأمة ينبغي أن يكونوا من الحكماء العقلاء أهل العلم والعمل والحكمة والعطاء والبصيرة والاتزان، أما أهل الجهل والطيش والسفه والحمق فينبغي أن يطلبوا العلم، وأن يتفرغوا للأمورهم المعيشية، فالنجار في نجارته والخباز في مخبزه والعامل في ورشته والفلاح في مزرعته وسوف يشكرون ويؤجرون؛ لأنهم أدوا ما عليهم من تكاليف، أما أن يكون منبر الجمعة وحلقة الدرس وشاشة التلفاز لكل من حفظ حديثاً أو قصة أو سألقة أو حكاية فهذا معناه الاستهزاء بعقول الناس والسخرية بأمة الإسلام وتشويه الدين عند غير أهله.

واعلموا أن العلم والمعرفة تحتاج إلى سنوات طويلة من الجد والمثابرة والعكوف والسهر والبحث والدراسة حتى يهين العظم ويشتلع الرأس شيباً، أمل من الشباب أن يتقوا الله في رسالتهم ودينهم وأمتهم، وألا يعبثوا بالمصطلحات الشرعية، وألا يجعلوا قضايا الإسلام لعبة، وألا يضحكوا علينا أمم الأرض، وألا يجعلوا ديننا نكتة يلوكها الحاقدون والمغرضون.

إن الإسلام دين رباني عالمي جاء للعقلاء والأسوياء، جاء يحترم العقل ويظهر الضمير ويصفي الروح ويصلح المجتمع وينشر المعرفة ويبني صروح الفضيلة وقيم العدل والسلام والإخاء في العالم.



## جربوا الاقتصاد الإسلامي

حضر مندوبُ اليمن عبد الله بن يحيى العلوي وكان شاعراً إلى مؤتمر دول  
عدم الانحياز الذي دعا إليه عبد الناصر ونهرو وتيتو، فرفع مندوب اليمن تقريره  
إلى إمام اليمن آنذاك أحمد حميد الدين وجعل التقرير في قصيدة، يقول فيها:

والعالم الثالث في نزاع  
مختلف الأهواء والأطماع

فذاك شيوعي يقول: مالي  
لدولتي ورأس مالي

وقد دعا إلى اجتماعٍ نصري  
من أجله تيتو وعبد الناصر

وفي الوفود غانة غينية  
أظنها من أسرة غنية

تلمحها الأبصار بالتوالي  
وبالخصوص من سفير مالي

والقصيدة فيها سخرية وتهكم بالمؤتمر والمجتمعين.

والمقصود أن العالم جرب في الاقتصاد الاشتراكية، فكذحت الكادحين،  
وبطحت الجالسين، وأفلست بالاشتراكيين أجمعين، وجرب العالم الرأسمالية  
فتضخمت الملكية الفردية بكل وسيلة غير مشروعته على حساب الأمة، ثم أعلنت  
الرأسمالية إفلاسها ونعاهها أساطينها وبقي الحل الإسلامي في الاقتصاد العالمي  
الذي دعا إلى العمل به علماء الإسلام والذي شرعه الله على عباده، وهو أعلم  
سبحانه بمصالحهم ولكنهم يابون إلا أفكار البشر وأوهام البشر ودساتير البشر:

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ والنظام الاقتصادي في الإسلام صمام أمان للفرد والمجتمع، فهو يقوم على أحقية الفرد في التملك بالطرق المشروعة مهما بلغ ماله خلافاً للاشتراكية، ويحرم التملك بالطرق الضارة بالناس من ربا وسحت وغرر وغش وخداع ونحوها خلافاً للرأسمالية، وضمن للفقير ما يكفيه وهي الزكاة بما يعادل ٥, ٢٪ وحث على الصدقة في وجوه الخير.

والعجب أن بعض علماء الاقتصاد في الغرب دعوا إلى تخصيص ٢٪ من الدخل لصالح الطبقات الفقيرة والمسحوقة وتخفيض نسبة الفائدة، وقد سبقهم إلى هذا الإسلام بقرون، فانظر كيف أباح الله البيع وحرّم الربا ودعا إلى الكسب الحلال ونادى بحفظ المال ودعا إلى الصدقة وأوجب الزكاة ومنع الغش، وجاءت النصوص تشجع الاستثمار المباح ونادى ابن عوف رضي الله عنه: «دلوني على السوق»، وذهب خليفة المسلمين أبوبكر الصديق رضي الله عنه إلى السوق يبيع ويشترى حتى فرض له الصحابة رضي الله عنهم راتباً من بيت المال فعاد لإدارة الدولة، وعجبي لا ينتهي من بعض أبناء المسلمين الذين يدعون لتقليد الشرق والغرب من اشتراكية ورأسمالية ونسوا شرع الله المطهر، ولكنه التقليد الأعمى، والمهزوم لا يثق بمنهجه، والمحبط لا يرى إلا جدار غرفته، والإمعة التابع يحاكي محاكاة البيغاء، حتى إن من أبناء العرب من عقّ الرسالة الخالدة كالماركسي الأحمر، والبعثي الأخضر، والاشتراكي الأنكر، والرأسمالي المدبر، والله أكبر على من طغى وتجبر.

أيها العالم: جربوا الحل الإسلامي كما جربتم حلولاً أثبت الزمن فشلها؛ لأن شرع الله من أعلى وهي من أسفل، ولأن منهج الله من فوق وهي من تحت، ولأن الرسالة من رب العالمين، وهي من التراب والطين.

العالم مقبل على دمار اقتصادي ولا حلّ له إلا الحل الإسلامي، وقد حصل دمار قبل هذا عندهم في الأخلاق والأسرة، وأنا أتحدى أن تكون هناك معضلة لا حل لها في الإسلام كبرت أم صغرت، حتى إن كثيراً من المشرعين في الغرب

## ثورة التجديد

نادوا إلى الاستفادة من أحكام الإسلام في العقوبات وأحكام المال وشؤون الأسرة والمرأة، فأين علماءنا من تقديم رسالة واضحة ودعوة صادقة مقبولة تبين سماحة الإسلام ويسره، ولكنهم مختلفون إلى الآن في رؤية هلال رمضان: هل هو بالحساب أو الرؤية ولهم سنوات؟

أيها العالم، عندنا حل ربّاني سماوي أتانا بسند متصل عن رسول الله ﷺ  
عن جبريل عن رب العالمين:

سندُ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى  
نوراً وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُوداً



## المحافظة على الهوية الثقافية

عندنا موجة تسونامي في تغيير هويتنا الثقافية ونسيجنا الاجتماعي ووحدتنا الأسرية والوطنية، ونحن نرحب بكل مسلم يفد إلينا، فإله شرفنا بالإسلام وجعل بلادنا مهبط الوحي وجعل قبلة المسلمين في أرضنا، ولكن هناك عمالة سائبة وجسماً عقدياً غريباً من السيخ والهندوس والمانوية والزرادشتية والمزدكية والمجوس عبدة النار أصبحوا يدبون في شوارعنا ديبب النمل، ويخترقون بيوتنا اختراق الخلايا السرطانية للجسم، وهم يشكلون كتائب معبأة وقت الطلب، وسوف يتحولون مع الزمن إلى جيوش ثائرة إذا أحسّت بالغبن أو القهر، وحينها لا تستطيع الحكومات المركزية أن تدافع عن نفسها، ومن يقرأ التاريخ يجد أن هذا قد حصل كثيراً، فتورة الزنج في بغداد أصلها عمالة دخيلة سائبة غريبة على الدين والهوية الثقافية، وكذلك ثورة الحشاشين، والمتوكل أُغتيل أصلاً بعدما مكّن الجسم الغريب على الإسلام من تغيير النسيج العقدي للأمة، وانتبه هارون الرشيد للبرامكة وهم يحاولون سرّاً الاستيلاء على زمام الأمور، وأسرّ بعضهم عبادة النار.

وشوارع الخليج العربي تقتض بطوابير أصبحت هي السواد الأعظم، وأصبح المواطن بينهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، بل أصبح كثير من أطفالنا يرطنون بالأردو والبشتو، فبعض دول الخليج الشقيقة التي أصبحت تسابق الزمن في الرقي والازدهار أصبحنا نخاف على هويتها العقدية والثقافية والوطنية بأنها دول طموحة ولكنها فتحت الباب على مصراعيه للوافدين الذين صار لهم كثير من حقوق المواطنة مع ما يحملونه من معتقدات تصادم ديننا تماماً وثقافتنا وأخلاقنا، والواجب علينا أن ننظر إلى المستقبل وأن نفكر في تغيير الزمن وتقلّب الدهر وحدوث الأمور الطارئة، فإذا حصل أمر مرعب بسبب هذا الجسم الغريب الوافد والطوفان الجارف الكاسح فلن ينفع الندم، وقد نصح كثير من العلماء والحكماء خلفاء بني العباس بعدم السماح للأفكار المعادية للإسلام بالتغلغل في

الدولة الإسلامية بواسطة الوجوه الغربية المريبة ولكن لم ينفع النصح، فالأُمون مثلاً مكن للجهمية الخراسانية من عاصمة الإسلام فأخذوا يغيرون السنّة إلى بدعة والهداية إلى ضلالة وتسببوا في قتل علماء الإسلام وسجنهم وتركوا في الأمة فتنة عظيمة بقيت آثارها إلى الآن، ثم أتى خلفاء آخرون أعجبهم ما يسمى (الانفتاح على الآخر) فصاروا هم الضحية وذهبت الدولة.

فيا حكام الخليج، ويا صنّاع القرار، أنتم قوم شرّفكم الله بالإسلام وأباؤكم وأجدادكم بنوا دولهم على التوحيد ودفعوا دماءهم وأنفسهم رخيصة في سبيل لا إله إلا الله فكيف يحصل الآن التساهل والتهاون وغض الطرف وعدم المبالاة في حماية معتقدنا الإسلامي الصحيح وثقافتنا الإسلامية وأخلاقنا الفاضلة النبيلة، وأشقاؤنا العرب من اليمن ومصر والشام والمغرب العربي أولى من المجوس عبدة النار وأقرب من الهندوس عبدة البقر وأحب من المانوية عبدة النور والظلمة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. وإذا لم تكن هناك غيرة دينية إسلامية فلتكن هناك غيرة على الحكم والوطن، وليقدّر كلُّ منا احتمالاً وارداً أن هذه العمالة الهائجة المائجة تخرج عن طورها يوماً من الأيام لتطالب بحقوقها، وتكون لها قيادة ثم تأتي على الأخضر واليابس، وحينها سوف يقف معها العالم ومنظمات حقوق الإنسان وربما تدخل مجلس الأمن لحمايتها، وإذا طال الزمن فقد يصبح المواطن عاملاً عند سيده الوافد كما حصل في بعض دول أوروبا، وأكرر وأقول أيها الخليجيون، أذكركم بقول الشاعر العربي:

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوِي

فَلَمَّ يَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

وتصوّروا البيت الخليجي إذا كان السائق هندياً والحارس بنغالياً والقهوجي سرلانكياً والمربية فلبينية والطباخة إندونيسية، أما الأب فهو مشغول بسهرات لعب الورقة والعروضات الشعبية، والأم تراجع المستشفيات؛ لتخفيف الوزن، حينها قل:

على البيت السلام، وكبرّ عليه أربعاً وصلّ عليه صلاة الجنازة، وشارك أبا العلاء المعري في قوله:

فيا موتُ زُرْ إنَّ الحِياةَ دَمِيمَةٌ  
ويا نَفْسُ جِدِّي إنَّ دَهْرَكَ هَازِلٌ

ومع ذلك عندنا مئات الألوف من العاطلين عن العمل، لكن كما قال الشاعر عبد الله البردوني: (يمنيون في المنفى، منفيون في اليمن).



## السلام عليكم ميثاق شرف

سبقنا العالم بقرون بالدعوة إلى السلام، فشعارنا دائماً (السلام عليكم)، عند اللقاء والوداع، في المسجد والمدرسة والجامعة والطريق والسوق نلقى الملك والعالم والأمير والوزير والتاجر والفقير والكبير والصغير فنقول: (السلام عليكم)، ندخل المجالس والاجتماعات والمحاضرات والمؤتمرات والندوات، فنقول: (السلام عليكم) نبدأ الخطب والدروس والنصائح والوعظ والبيانات فنقول: (السلام عليكم)، إنها ميثاق شرف، وعهد وفاء، وعربون مودة، وعنوان أخوة، وإعلان مصالحة، وإنهاء قطيعة، وبداية صداقة، وتجديد عهد، ودعم ثقة، وعصمة دم، وحفظ نفس، واحترام عرض، وحدها: (السلام عليكم) الجملة المعبرة والكلمة الآسرة، والعبارة الصادقة في زرع السلام والأمن والمحبة بين الناس، وحدها: (السلام عليكم) العبارة المختارة من بين كل العبارات التي نبدأ بها لقاء اتنا، تدخل على أبيك وأمك وابنك وزوجتك وعمك وخالك وصديقك وعدوك فنقول: (السلام عليكم)، إن معناها خذ العهد مني والأمان أن لك السلامة مني على نفسك ودمك ومالك وعرضك، فلا تخف مني، فلن يصيبك ضرر ولن يصل إليك مكروه.

إن شعار: (السلام عليكم) عقد شرعي، ووثيقة اجتماعية، ورسالة ربانية، أتى بها الإسلام قبل ثقافات الأرض، ودرساتير الطين، وقوانين التراب: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾، نحن سبقنا العالم في نشر ثقافة السلام والدعوة إلى المحبة، وغرس شجرة الإيمان والأمن، والله سبحانه هو السلام، ومنه السلام، ويعود إليه السلام، وهو الذي سلم على أنبيائه وعباده الصالحين، وتحية أوليائه يوم يلقونه السلام، وتحية أهل الجنة: (السلام عليكم)، وتحية الملائكة على المؤمنين في الجنة: (السلام عليكم)، فلا يجوز لنا أن نهمل هذه الكلمة، أو نبطل هذا الشعار، أو نستبدل به غيره من الكلمات مهما كانت رقيقة أو جميلة، فلا أرق ولا أجمل من: (السلام عليكم)، ويجب علينا إحياء هذه الكلمة قولاً وعملاً، لفظاً

ومعناً، ظاهراً وباطناً، فننشرها في أنفسنا، بالعفو والمحبة، والصفح والتسامح، ونعلنها في كل مكان، ونجعل عبارات المجاملة والترحيب بعد هذه الكلمة، فكلمة مرحباً، أو أهلاً وسهلاً، أو صباح الخير، أو كيف الحال؟ أو غيرها، تأتي عند المسلم بعد (السلام عليكم).

وإذا أسقط المسلم كلمة: (السلام عليكم) واستبدلها بغيرها فقد غير ثقافته، وتخلّى عن شعاره وتنكر لهويته، ومن جمال هذه الكلمة أن كبار العالم وزعماءه إذا أرادوا أن يحيوننا نحن المسلمين قالوا لنا: (السلام عليكم)، إن (السلام عليكم) أشودة عذبة، ونعمة جميلة، وقصيدة حلوة، ومفردة عجيبة أسرة، إنها مفتاح للقلوب، ولبسم للأرواح، وإشراقة للنفوس، وصحوة للضمير، يعجبني المسؤول والعالم والكاتب والشاعر والأديب والمفكر والفيلسوف إذا قال: (السلام عليكم)، حينها أشعر برضا وسكينة وطمأنينة؛ لأنه أمّني على نفسي ومكانتي من الكراهية والغضب والحقد والأذى والضرر، ولأنه أشعرتني بالأخوة والصدقة وحسن التواصل وجميل التعارف.

أرجو ألا نسمح لجيلنا بالتنكر لعبارة: (السلام عليكم)؛ ليجعلوا مكانها كلمات مستسخة عقيمة سقيمة ساذجة باردة لا تقوم مقامها ولا تحمل روعتها، ولا تفي بدلالاتها ولا تعبر عن مقصودها، أرجو ألا نتخلّى عن هذه العطفية الربانية، والمنحة الإلهية؛ لأن فيها علاجاً لمشكلاتنا وداءاً للأمراض النفسية، لأننا كلما تغاضبنا وتهاجرنا وتقاتلنا وتقاطعنا وتدابرنا سمعنا: (السلام عليكم) فتعود المحبة والوصل والود، فنتسامح ونتصالح ونتصافح ونتعانق ونتآخى؛ لأن: (السلام عليكم)، ذكّرتنا بالأخوة الإنسانية، والمحبة الإيمانية، والرابطة الإسلامية، إن أجمل عبارة يمكن أن يضعها مجلس الأمن في أول لقاءاته هي: (السلام عليكم) وإن أجمل كلمة تكتبها هيئة الأمم المتحدة على مبناها عالية شامخة هي: (السلام عليكم). وأخيراً أقول لكم: (السلام عليكم).

